محاضرات شهرماي

مقياس:المجتمع الجزائري وفعالياته

المستوى: أولى ماستر

الأستاذ: روابحي العياشي

المحاضرة الأولى : سكان الأرياف

يؤلف سكان الأرياف غالبية سكان الإيالة الجزائرية اذ كانت تزيد نسبتهم العددية على 95 بالمائة من مجموع السكان ويمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام وعلاقتهم ببعضهم وطريقة حياتهم كالتالي:

- سكان متعاونون (قبائل المخزن)

- سكان خاضعون (قبائل الرعية)

- سكان متحالفون (الأحلاف)

- سكان ممتنعون (في المناطق النائية والجبلية)

1- قبائل المخزن

يمكن تعريف قبائل المخزن بأنها مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وادارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار ، وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك بل هي في واقع الأمر تجمعات سكانية تعميرية ذات تكوين اصطناعي فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، هذا وتشكل قبائل المخزن نظرا لارتباط مصالحها بالبايلك حلقة وصل بين الاهالي في الأرياف والحكام في المدن بل أنها أصبحت في أواخر العهد العثماني تؤلف رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم وتبقى على تماسك الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الريف.

-أبرز مهام قبائل المخزن

استخلاص الضرائب ،ومعاقبة المتمردين.

المشاركة في المحلات الفصلية والحملات البعيدة.

يوكل إليها أمر تنفيذ أوامر البايلك ومراقبة تنفيذ تعليماته.

ضبط تحركات القبائل الجبلية والصحراوية نحو السهول الخصبة.

حراسة الأبراج والحصون الممرات الصعبة، واماكن العبور والمسالك الرئيسية الواصلة بين مراكز البايلكات.

حماية الأسواق الموسمية

ومقابل هذه الخدمات كانت قبائل المخزن تحظى ببعض الامتيازات وتنال بعض الحقوق دون بقية سكان الأرياف، مثل التمتع بالأمن والحماية من طرف سلطات البايلك والاعفاء من المطالب المخزنية والضرائب الإضافية كاللزمة والغرامة والحكور والمعونة،زيادة على تلقيها المنح والتجهيزات العسكرية مجانا.

2- قبائل الرعية

تتألف قبائل الرعية من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالدواوير والدشر والقرى والمنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن وتعبرها فرق الحاميات التركية المتوجهة لجمع الضرائب أو الملتحقة بمراكز الحاميات.

وقد تعرضت قبائل الرعية للاضطهاد والاكراه والقسر والاستغلال المستمر من طرف رجال البايلك وفرسان المخزن،فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة وارغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، ومنع عنها الاتصال بالقبائل المعادية للبايلك أو الممتنعة عن نفوذه، كما حضر عنها شراء البنادق واقتناء البارود، وحتى لا تفلت قبائل الرعية هذه من قبضة رجال البايليك وضع على رأس القبائل الكبيرة منها قياد من الأتراك والكراغلة وشيوخ من العائلات المتعاملة من البايات.

المحاضرة الثانية (تابع –سكان الريف-)

3-المجموعات السكانية المتحالفة (الأحلاف)

تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها،معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة، الطابع الروحي في غرب البلاد (عائلات المرابطين) والطابع الحربي في شرق البلاد وجنوب التطري (الأجناد). بينما العائلات التي تولت زعامة هذه المجموعات القبلية الحليفة بمناطق جرجرة والبابور والصومام اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة (الأشراف) أو امتثالها لرأي الجماعة (الخروبة).

وقد ساعدت طبيعة لشرق الجزائري الجبلية وعدم تعرضه لثورات مدمرة، كثورات سويد والامحال ودرقاوة والتيجانية التي تأثرت بها الجهات الغربية والجنوبية من الإيالة، على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أصبحت تسيطر على ثلثي بايلك الشرق حتى اضطر البايات إلى التعامل معها والاعتراف بزعامة شيوخها، مثل مشيخات النمامشة والحنانشة والحراكتة وقصر الطير (جنوب سطيف)، وأولاد بوعزيز ببلزمة، وأولاد بوضياف بالأوراس الأوسط والشمالي وأولاد قاسم جنوب قسنطينة وأولاد عاشور بفرجيوة، وأولاد مقران بمجانة، وبني جلاب بتوغرت، وأولاد ابن قانة بالزيبان وغيرهم.

ومما يلاحظ أن البايليك حاول ربط هذه المشيخات القوية بالسلطة واخضاعها لتصرف الحكام، وذلك بالالتجاء إلى عدة وسائل منها:

- التقرب إلى شيوخها ومرابطيها وذوي الرأي منها بإسقاط المطالب المخزنية وتقديم الهدايا وإصدار فرمانات التولية، مقابل خدمات مثل تأمين الطرق وجمع الضرائب ...

- خلق تنافس وصراع بين الأحلاف القبلية الكبرى ،ودعم صف على حساب آخر وذلك من أجل السيطرة على بعض القبائل الكبرى التي تشكل تهديدا للسلطة.

- شن الحملات الانتقامية المفاجئة بين الحين و الآخر، وذلك عندما تظهر من تلك القبائل بوادر الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية أو يحاول بعض الزعماء التخلص من رقابة البايلك.

4- المجموعات السكانية الممتنعة عن سلطة البايلك:

تتألف في أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور، وجرجرة والونشريس وشمال قسنطينة والأوراس، أو التي كانت تجوب جهات الهضاب الوهرانية ومناطق الأطلس الصحراوي(أولاد نائل والعمور والقصور) وتخوم الصحراء...

ونظرا لابتعاد هذه المجموعات السكانية عن نفوذ الحكام وعدم اعترافها بسلطتهم، فإن حكومة الداي حاولت أن تحد من استقلالهم وترغمهم على مهادنة السلطة الحاكمة باتباع عدة طرق نذكر منها:

1-تنصيب الحاميات وإقرار عشائر المخزن في الأماكن المهمة التي تتحكم في الأقاليم التي تعيش فيها هذه المجموعات السكانية المستقلة.

2-التحكم في الاسواق الموسمية والأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطن هذه القبائل المستقلة، حيث يتم التعارف وتعقد الأحلاف ويتبادل الرأي وتنشر الأخبار والدعايات.وحتى تتمكن الدولة من السيطرة التامة على هذه الأسواق كان ينصب عليها قياد من الأتراك و يوضع تحت تصرفهم بعض رجال الحامية التركية ومجموعة من فرسان المخزن.

3-وعندما تصح الوسائل السالفة الذكر غير مجدية فإن الحكام يلتجئون إلى استعمال القوة لتدمير الدشر الحصينة واتلاف الأمتعة والاقوات حتى تضطر القبيلة المتمردة إلى المهادنة والخضوع.